بعض تحديات هجرة المغاربة غير النظاميين عبر طريق البلقان من إسطنبول إلى الحدود:
حالة مهاجرين من جهة شرق المغرب

بنعائشة بنيونس
أستاذ محاضر، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول- وجدة
benyouness.benaicha@ump.ac.ma
المملكة المغربية

الملخص:

طريق البلقان البري عبارة عن مسارات متعددة، تجتمع فيها كل أنواع المعيقات الطبيعية والبشرية التي تجعل منها مسارا خطرا وقاسيا. غير أن خطورته وقساوته لم تثنيا الشباب المغربي الغامر والراغب في الوصول إلى أوروبا لتحسين ظروف حياته، من خوض هذه التجربة واختيار هذا الطريق مسارا رئيسيا للوصول إلى أوربا، بعد أن تلاشت أمام أعينهم أحلام الهجرة الآمنة، وتقطعت بهم سبل تحقيق أهدافهم بطرق أخرى أكثر أمانا.

إن إشكالية هذا المقال تنبثق من قلب ظروف الإقامة القاسية للمهاجرين المغاربة غير النظاميين عند وصولهم إلى تركيا، خاصة فيما يتعلق بالحصول على السكن والمعطيات والمعلومات الدقيقة حول مسار الهجرة، والضغط الذي يتلقونه من المهربين ومعاونيهم، والخوف من السقوط في شَرَك النصب والاحتيال، والمعاناة التي يواجهونها قبل وعند اقترابهم من الحدود التركية البلغارية والحدود التركية اليونانية، وطرق اجتيازهم لها. وفيما يتعلق بمعالجة الإشكالية فقد اعتمدنا في ذلك حصريا على مقابلات شفوية مباشرة موجهة بسلسلة من الأسئلة المبوبة حسب محاور رئيسة، مع سبعة من المهاجرين المغاربة غير النظاميين من جهة شرق المغرب الذين خاضوا هذه التجربة. مستعملين في بناء المقال المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الجغرافي، وأدوات تقنية كبرمجية ArcGIS وExcel وGoogle Earth Pro.

الكلمات المفتاحية: ظروف السكن، العنف، الحدود، البلقان، المهاجرون المغاربة، هجرة غير نظامية

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Titre : Quelque défis de la migration marocaine irrégulière par les Balkans, d'Istanbul aux frontières : cas des émigrés de la Région de l'Oriental (Maroc)

Résumé

L'itinéraire des Balkans est une route complexe et pleine d'obstacles naturels et humains qui rendent le voyage à pied vers l'Europe difficile et dangereux, pourtant, ses dangers et ses difficultés n'ont pas empêché de jeunes Marocains animés par le désir de rejoindre l'Europe et d'améliorer leur vie, d'emprunter ce chemin risqué, après qu'ils ont perdu toute espoir d'une migration sûre et sécurisée.

La problématique de cet article, émerge des conditions de vie difficiles des migrants marocains irréguliers dès leur arrivée en Turquie, notamment en ce qui concerne l'accès au logement, aux informations fiables sur les itinéraires migratoires, les pressions exercées par les passeurs et leurs complices, la crainte d'être victimes d'escroquerie et des souffrances affrontées avant et à l'approche des frontières turco-bulgare et turco-grecque, ainsi que les méthodes utilisées pour les franchir. Pour traiter cette problématique, nous avons mené exclusivement des entretiens oraux directs, organisées par thèmes et structurés en série de questions, auprès de sept migrants marocains originaires de la Région de l'Oriental du Maroc et ayant vécu cette situation. L'article adopte l'approche descriptive analytique et l'approche géographique, et utilise des outils techniques tels qu'ArcGIS, Excel et Google Earth Pro.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

يعتبر طريق البلقان البري من أبرز مسارات الهجرة الحديثة بين شرق وجنوب وغرب المتوسط، إذ تطور هذا المسار نتيجة السياسات المتشددة التي نهجتها الدول الأوربية تجاه الهجرة النظامية وغير النظامية، وكذلك ارتفاع تكاليف الهجرة غير القانونية بين جنوب وشمال البحر المتوسط ما دفع الراغبين في الهجرة إلى البحث عن طرق بديلة أقل تكلفة، ناهيك عن انعدام الاستقرار السياسي الذي عانت من وطأته معظم دول منطقة شرق البحر المتوسط الذي خلق أزمة هجرة واسعة بدأت معالمها بالظهور مع مطلع سنة 2015.

هذا الطريق تحول من البحث عن الأمن واللجوء إلى طريق للبحث عن ظروف حياة أفضل من طرف مهاجرين من دول العالم الثالث والسائر في طريق النمو.

بالنسبة للمهاجرين الراغبين في تحسين ظروف حياتهم يبدأ طريق البلقان من مدينة إسطنبول بتركيا التي تشكل نقطة التقاء المهاجرين وجماعات المهربين والسماسرة، إن صح التعبير حسب وصف أحد المستجوبين، فهي سوق سوداء تعرض فيها الخدمات الخاصة بالهجرة السرية، من سكن ونقل وتوجيه وإرشاد وتقديم المساعدات في الوقت اللازم.

بالنسبة للمهاجرين المغاربة غير النظاميين على طريق البلقان الراغبين في الوصول برا وسيرا على الأقدام إلى أوربا، يعتبر الوصول إلى مدينة إسطنبول بداية فصول الهجرة، بحيث تتعدد وتتوالى الإكراهات وترتبط فيما بينها، ما يفرض عليهم الحرص والحذر الشديد. تبدأ المعاناة منذ الوصول في البحث عن المسكن، ونوع الإقامة، والتعامل مع الساكنة المحلية ونظرتها لهم، والضغط المتزايد من السماسرة والمهربين، وكثرة المعلومات والمعطيات المغلوطة التي قد تسقط المهاجر غير الفطن في مخالب النصابين.

من خلال المقابلات التي أجريت مع المستجوبين اتضح أن الوصول إلى الحدود ليس بالأمر السهل ولا الهين بل هو في حد ذاته تحد كبير، إضافة إلى اختيار مجموعة الهجرة والثقة في المهرب ومعاونيه، وأي خطأ بسيط قد يكلف المهاجر فشل مشروعه الهجروي.

وبما أن تركيا لها حدودا برية مع دولتين أوربيتين هما بلغاريا في الشمال واليونان في الجنوب، فإن أغلبية المهاجرين يفضلون النزول في مطار إسطنبول كمحطة متقدمة في مسار الهجرة عبر طريق البلقان. إذ تبلغ المسافة بين إسطنبول والحدود البلغارية حولي 250 كلم وهي مسافة بعيدة يجب قطعها بوسائل نقل غالبا ما يتم توفيرها من طرف المهربين، إضافة إلى خدمة المرشد أو ما يسمى ب"الريبيري".

الإشكالية:

إن اختيار طريق البلقان البري مسارا للوصول إلى أوربا من طرف المهاجرين غير النظاميين المغاربة يفرض عليهم التوجه إلى مدينة إسطنبول ومنها إلى الحدود التركية البلغارية أو التركية اليونانية، غير أنهم يجدون أنفسهم في مواجهة تحديات كبرى منذ لحظة وصولهم للمدينة إلى لحظة اجتيازهم الحدود.

فرضيات البحث:

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

سنحاول معالجة إشكالية هذا المقال من خلال التأكد من الفرضيات التالية:

- يواجه المهاجرون المغاربة غير النظاميين بتركيا ظروف إقامة صعبة
- يخشى المهاجرون المغاربة غير النظاميين على طريق البلقان السقوط في شرك الاحتيال والنصب
- تتعدد أوجه المعاناة قبل وعند الاقتراب من الحدود الدولية الغربية لتركيا
- تتباين آراء المهاجرين حول الوصول إلى الحدود ونوعها وطرق اجتيازها.

تساؤلات البحث:

تدفعنا فرضيات البحث لطرح الأسئلة التالية:

- كيف يحصل المهاجر المغربي غير النظامي على سكن بإسطنبول؟
- ماهي ظروف الإقامة والعلاقات الاجتماعية بين المهاجر المغربي غير النظامي وساكنة إسطنبول؟
- ماهي الظروف التي يصل فيها المهاجرون المغاربة إلى الحدود الدولية التركية على طريق البلقان؟
- هل تؤمن مجموعة المهاجرين على طريق البلقان مشروع عناصرها؟

منهجية البحث

المنهج: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الجغرافي لأنهما المنهجان اللذان يمكنان من إبراز التحديات التي تواجه المهاجرين المغاربة غير النظاميين منذ وصولهم إلى إسطنبول وحتى بلوغهم الحدود.

مجتمع البحث وأدواته:

-مجتمع البحث: تتعلق إشكالية هذا المقال بالمهاجرين المغاربة الذين اختاروا طريق البلقان كمسار للوصول إلى دول أوربا الغربية، سواء الذين تمكنوا أو الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى وجهتهم ورجعوا أدراجهم بعد المحاولة إلى وطنهم.

-أدوات البحث: رغم أهمية الموضوع والإشكالية المطروحة إلا أنه لم يكن من السهل الوصول إلى عينة كبيرة من مجتمع البحث تمكن من ملء عدد كاف من الاستمارات، واستخراج نتائج كمية ونوعية تسهل معالجة الإشكالية. لذا ولتجاوز هذا العائق، اعتمدنا على المقابلات الشفوية المباشرة وغير المباشرة عبر تطبيق الواتساب للحصول على معلومات ومعطيات حول الموضوع، إلا أن الوقت والثقة عاملان حاسمان في الوصول إلى مجتمع الدراسة، بحيث طبقنا أداة كرة الثلج للوصول إلى هذا العدد من الأشخاص الذين قبلوا إجراء المقابلات.

لابد من الإشارة هنا إلى أن عدد الحالات التي تم استجوابها سبعة، وكانت المقابلات تتم على مراحل، أولا لابد من الوصول إلى رقم هاتف المستجوب ثم التواصل معه لتحديد موعد، وأخيرا إجراء المقابلة التي كانت تحتاج إلى أكثر من ساعتين، ومنهم من تمكن من الحضور في الموعد ومنهم من تعذر عليه ذلك لسبب من الأسباب، ومنهم من رفض مبدئيا إجراء المقابلة. كما حاولنا الحصول من خلالهم على صور فتوغرافية شاهدة على أهم الأحداث والمواقع التي مروا منها، لكنهم أكدوا عدم احتفاظهم بالصور بسبب تعرض هواتفهم للحجز أو السطو أو الإتلاف.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مناقشة النتائج:

أولا: تحديات ظروف الإقامة في بلدان العبور على طريق البلقان

1: بناء مشروع الهجرة

يقوم مشروع الهجرة على ثلاث مراحل أساسية وهي التحضير والإنجاز ثم الوصول، لكن غالبا تبقى المرحلة الأولى هي أصعب هذه المراحل، فهي الأخرى تقوم على مراحل ثانوية منها اتخاذ القرار وتحديد طريقة الهجرة وتوفير تمويل للمشروع. من هنا يبقى اتخاذ قرار الهجرة عبر طريق البلقان ليس بالأمر الهين خاصة أمام السمعة السيئة والتجارب المؤلمة التي تطبع هذا المسار، فالقرار لم يكن قرارا فرديا يتعلق بالمهاجر فقط بل كان قرارا يهم أشخاصا آخرين.

أكد ستة مستجوبين من أصل سبعة على أن قرار الهجرة كان بتشاور مع الأسرة، والمقصود بالأسرة هنا الوالدين والأشقاء، والزوجة والأبناء، لأنهم أول المعنيين والمتأثرين بهذا القرار. من هنا، أفاد المستجوب رقم 1 بأن «كل شيء تم بتشاور مع الأسرة" ولكونه عازبا، فقد تم اتخاذ قرار الهجرة بتشاور مع الأب والأم. أما بالنسبة للمستجوب رقم 2 فمتزوج وأب لأربعة أبناء وبالتالي فقرار الهجرة كان بتشاور مع الزوجة وباتفاق معها على احتضان الأبناء والاعتناء بهم وتحمل مسؤوليتهم أثناء غيابه أو في حالة وفاته. والمستجوب رقم 3 هو الآخر قرر الهجرة بتشاور مع الزوجة التي ساهمت من مالها الخاص في تغطية تكاليف الرحلة، مع تحمل مسؤولية رعاية الأسرة بعد غياب الزوج.

لم يكن اتخاذ قرار الهجرة سهلا ولا آنيا لكل المستجوبين، بل استلزم سنوات للحسم فيه، يقول المستجوب رقم 6 "راودتني فكرة الهجرة إلى إسبانيا عبر طريق البلقان منذ سنة 2020، غير أن والدي كان يعارضها بشدة، لكن بعد وفاته قررت الهجرة بعد أن قمت ببيع رؤوس الماشية التي ورثتها منه لتمويل الرحلة. وفي سنة 2023 وضعت والدتي أمام الأمر الواقع وأبلغتها أني حجزت تذكرة الطائرة باتجاه تركيا، وودعتها وداع الراحل بلا عودة"، يبدو أن قرار الهجرة كان يحتاج إلى الحزم والحسم في آن واحد، لأن تبعاته خطيرة قد تكلف المهاجر حياته وتشرد الأسرة من بعده.

2: إسطنبول محطة انطلاق لمسار الهجرة على طريق البلقان

2-1: أسباب اختيار إسطنبول نقطة انطلاق نحو الحدود

بعد الحسم في قرار الهجرة كان من المنطقي جدا أن يتوجه المهاجرون غير النظاميين على طريق البلقان إلى مدينة إسطنبول، للانطلاق منها إلى الحدود التركية البلغارية أو الحدود التركية اليونانية، لكونها مدينة كبيرة ولوجودها في الجزء الغربي الأوربي لتركيا، خلافا للعاصمة أنقرة التي توجد بالجزء الشرقي الأسيوي، هذا ويرى بعض الباحثين أن اختيار المهاجرين غير الشرعيين تركيا كبوابة للتوجه إلى أوربا يعود إلى استغلالها الهجرة كآلية للضغط على البلدان الأوربية[1]، ويضيف الباحث بأنه حسب مقولة لرئيس منظمة فرونتكس "تركيا أصبحت طريقا سيارا للمهاجرين"، لكن يبقى التساؤل مطروحا حول الأسباب الحقيقية التي تدفع المغاربة غير النظاميين على طريق البلقان لاتخاذ هذه المدينة محطة أولية للاستقرار عوض مدن أخرى أقرب إلى الحدود.

[1] - Gérard-François Dumont, 3 décembre 2020 « La Turquie d'Erdogan et la géopolitique des migrations », article sur https://www.telos-eu.com/fr/politique-francaise-et-internationale/la-turquie-derdogan-et-la-geopolitique-des-migrati.html. P :2.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

من خلال شهادات المستجوبين اتضح أن لكل مهاجر سببه الخاص، لكن هناك تقارب بين هذه الأسباب، أولا كون مدينة اسطنبول قريبة من الحدود، وثانيا هي مركز تجمع المهاجرين الراغبين في الهجرة سيرا على الأقدام في اتجاه أوربا، فضلا عن وجود السكن والمواصلات والسماسرة، وبهذا الخصوص يقول المستجوب رقم 1 توجهت إلى إسطنبول مع صديق " لأنها مركز تجمع المهاجرين الراغبين في الوصول سيرا على الأقدام إلى أوربا الغربية، وكذلك لوجود فرص كبيرة جدا لكراء سكن"، ويشير المستجوب رقم 5 أنه توجه إلى إسطنبول في مجموعة مكونة من خمسة مهاجرين " لأنها نقطة التجمع الرئيسة للمهاجرين ومنها تنطلق الرحلات إلى مدينة أدرنة". وهناك مهاجرون آخرون توجهوا إلى هذه المدينة بإيعاز من المهرب، المستجوب رقم 6 الذي استقل الطائرة من المغرب تجاه إسطنبول بمعية ستة آخرين، يفيد أن " المهرب الذي تواصلنا معه هو الذي طلب منا التوجه نحو إسطنبول وذلك لسهولة التواصل فيها". ويشير المستجوب رقم 3 أنه توجه إلى تركيا صحبة تسعة مهاجرين، وصلوا كلهم إلى وجهتهم في أوربا الغربية، وأنه لم يكن يعرف الفرق بين المطارات في تركيا، ولم يكن يعلم أن إسطنبول توجد في الجزء الغربي الأوربي من تركيا، وقريبة من الحدود، فقط وكالة الأسفار التي تكلفت بحجز التذاكر هي من اختارت إسطنبول.

2-1: السكن والإقامة بإسطنبول

إن الوصول إلى مدينة إسطنبول لأول مرة من أهم مراحل مشروع هجرة المغاربة غير النظاميين على طريق البلقان، التي يجب تدبيرها بحكمة وبذكاء نظرا لما يروج بين المهاجرين من أخبار تدعو للاحتياط والحذر. فكما يقول أحد المستجوبين "إسطنبول عبارة عن سوق للهجرة يسوده التلاعب والاحتيال"، لذلك حاولنا معرفة طريقة تدبير هذه المرحلة من طرف المستجوبين، واستنتجنا أن هناك عدة طرق، بحيث إن مستجوبا واحدا فقط صرح أن صديقا له كان بانتظاره بالمطار، وثلاثة من أصل سبعة كان بانتظارهم الوسيط المكلف بترتيب هجرتهم، وثلاثة آخرون لم يكن بانتظارهم أحد بل اعتمدوا على المعلومات التي جمعوها قبل مغادرتهم المغرب للانتقال من المطار إلى محل السكن الذي هو الآخر يختلف من مهاجر إلى آخر (جدول 1).

جدول رقم 1: طريقة حجز السكن ونوعه عند الوصول إلى إسطنبول

	طريقة حجز السكن		نوع السكن
مستجوب 1	كان محجوزا مسبقا		منزل مستقل
مستجوب 2	كان محجوزا مسبقا		منزل مستقل
مستجوب 3		تم حجزه عند الوصول	فندق
مستجوب 4	كان محجوزا مسبقا		منزل مستقل
مستجوب 5		تم حجزه عند الوصول	فندق
مستجوب 6		تم حجزه عند الوصول	فندق
مستجوب 7		تم حجزه عند الوصول	فندق

المصدر: المقابلات الشفوية (نهاية فبراير وبداية مارس 2026) بتصرف

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يتضح من الجدول رقم 1 أن السكن في مدينة إسطنبول كان محجوزا مسبقا بالنسبة لثلاثة مستجوبين والأربعة الآخرين حجزوه بعد الوصول. ويتضح أيضا أن السكن المحجوز كان عبارة عن منزل مستقل خاص بتجميع المهاجرين تابع للوسيط أو "الحراك". بالنسبة للذين لم يتمكنوا من حجز السكن قبل مغادرتهم المغرب فقد توجهوا إلى الفنادق بمساعدة مهاجرين تعرفوا عليهم قرب المطار، وبعد ذلك إلى منزل مستقل في انتظار الانطلاق نحو الحدود بمعية مهاجرين آخرين. وأشار المستجوب رقم واحد إلى أن " السكن كان محجوزا من طرف أحد المعارف في إسطنبول، حيث إن ثمن السرير الواحد في غرفة تضم خمسة أفراد هو 80 أورو"، في حين أوضح المستجوب رقم 6 أنه " عند وصولنا، تعرفنا على مهرب مغربي ساعدنا في حجز غرفة في فندق ب 300 أورو لمدة يومين، هذا القدر من المال كان يضم مصاريف السكن ولوازم الرحلة من فواكه جافة وخبز سوري لا يتعفن وكيس النوم، بعد ذلك انتقلنا إلى منزل مستقل، مقابل 80 أورو للشخص الواحد، وكنا 6 أفراد في الغرفة الواحدة". من خلال الحديث مع المستجوبين اتضح أن السكن في المنزل المستقل يكون غالبا تابعا للحراك المسؤول عن تهريب المهاجرين إلى الحدود، وأن ثمن السرير الواحد جد مرتفع، وكل الخدمات والمعلومات بالمقابل، وقد عبر المستجوب رقم 1 عن ذلك بأن "الابتزاز موجود في كل التعاملات".

2-2: استهجان الساكنة بالمهاجرين العابرين

بعد وصول المهاجرين واستقرارهم بمدينة إسطنبول تبدأ مرحلة أخرى من مراحل مشروع الهجرة، وهي التحضير للوصول إلى الحدود، هذا التحضير يدفعهم للتعامل مع الساكنة من مواطنين ومهاجرين في الأسواق والشارع. ورغم تواجدهم بشكل قانوني فوق التراب التركي، إلا أن الساكنة تتعامل معهم باستهجان، ما يعرضهم للعنف المادي والرمزي ويخلق لديهم الإحساس بالدونية والرغبة في تجاوز الحدود في أقرب فرصة ممكنة. وقد خلقت كثرة التجارب والتعامل مع الساكنة نوعا من رأس المال الاجتماعي الذي يستغله المهاجرون للتقليل من احتكاكهم بالساكنة، وهذا ما أوضحه المستجوبون إذ يفضلون التعامل مع المغاربة أو السوريين عوض الساكنة المحلية.

في هذا الصدد أشار المستجوب رقم 3 " كنا معروفين كمهاجرين، حقيقة عانينا "الحكرة" من طرف الأتراك. يرفضون التجارة معنا، ولا يتواصلون، إن سألتهم مثلا عن محطة الحافلة لا يجيبون "، ويقول المستجوب رقم 1 " كنا نعيش العنف بشكل كبير في الشارع، ومن الممكن أن يطردوك من محل تجاري، لذلك كان تعاملنا مع المغاربة والسوريين فقط و لم يكن مع الأتراك". غير أن المستجوبين رقم 6 ورقم 7 فسرا هذا التعامل الذي وصفه الآخرون بالعنيف إلى عامل تاريخي، حيث يقول المستجوب رقم 6 الذي وصل تركيا سنة 2023 " بالنسبة لي هذا البلد أكبر بلد عنصري خاصة بالنسبة لنا نحن المغاربة، لكوني طالبا أظن أن المسالة تتعلق بما هو تاريخي"، أما المستجوب رقم 7 الذي وصل إلى تركيا سنة 2019 فيقول " لم أتعرض للابتزاز، لكن تعرضت للعنصرية من طرف الأتراك لكوني مغربي، هناك نظرة حقد دفينة تعود إلى أحداث تاريخية، وهناك مراقبة كبيرة من طرف الشرطة". هذا الاستهجان والتحقير والرفض من طرف الساكنة المحلية للمهاجرين الذي عبر عنه المستجوبون، لا يمكن إثباته حقيقة إلا باستجواب الطرف الآخر، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل الدول تحظر خطاب الكراهية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ثانيا: تحديات الوصول إلى الحدود وتجاوزها

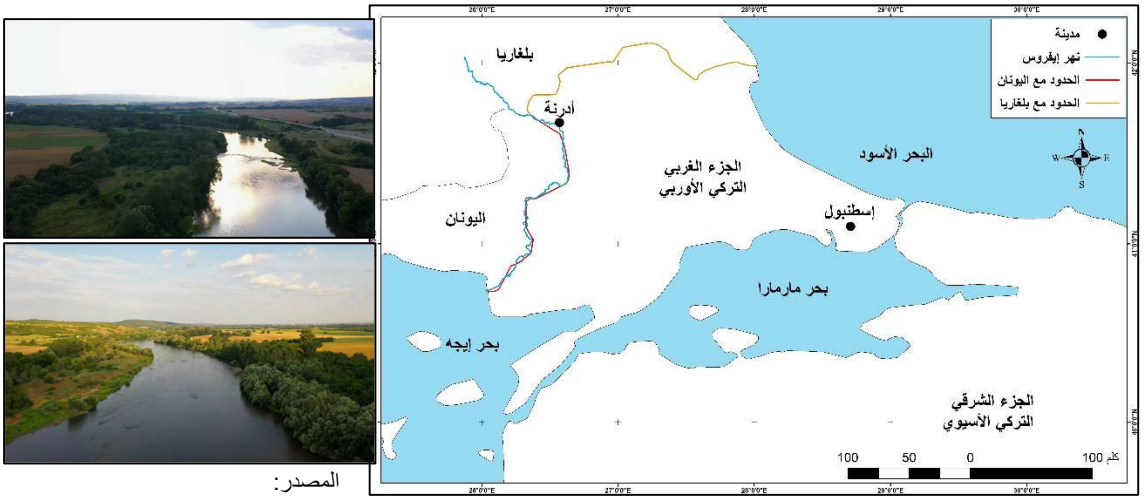
1 : الحدود من وجهة نظر المستجوبين

لم يعد بناء الحواجز والجدران ووضع السياج يرتبط فقط بترسيم الحدود بين الدول وصون سيادتها، بل أصبحت الحدود كآلية دفاعية أولية ضد بعض الظواهر التي تمس الأمن الداخلي كالتهريب، والاتجار بالبشر والهجرة[1]. ويرى الباحث دلشاد محمود صالح بابلا أن الدول تلجأ إلى هذه الحواجز " عندما لا يعود بإمكانها مواجهة الأعداد الغفيرة من الناس الذين يلجأون إليها هربا من العوز والفقر والحرمان من المميزات الاقتصادية في بلدانها"[2].

لابد من الإشارة إلى أن المراقبة المشددة على الحدود، واستخدام تجهيزات عالية الدقة توجد على حدود دول الاستقبال كاليونان وبلغاريا أكثر من وجودها على حدود دول الأصل أو دول العبور كتركيا. فالحدود اليونانية والبلغارية تعتبر حدودا خارجية للاتحاد الأوربي، بينما تركيا بلد عبور وتعتبر المهاجرين مؤقتين وليس لهم نية الاستقرار، لذلك مراقبة وتشديد الحراسة على الحدود بالنسبة لها يدخل فقط في إطار التزاماتها الدولية مع الاتحاد الأوربي[3]. إن صح القول فتركيا توجد في نفس الوضع الحدودي للمغرب بشمال افريقيا.

تحد تركيا من جهة الغرب كل من بلغاريا واليونان (خريطة 1)، بحيث أن الحدود مع اليونان عبارة عن حاجز طبيعي وهو نهر إيفروس (ماريستا أو ماريتسا).

خريطة 1: موقع إسطنبول من الحدود البلغارية واليونانية صور 1و2: أجزاء من نهر ايفروس



المصدر: Google Earth Pro و Openstreetmap

المصدر:
https://www.youtube.com/watch?v=IkrwXLGgH0Y بتصرف

[1] – بنعائشة بنيونس (16 فبراير2020) **"بناء الأسوار وتسييج الحدود الدولية مقاربة أمنية جديد لمكافحة الهجرة الدولية"**، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات، ص :09. https://nama-center.com/Articles/Details/41163.

[2] – دلشاد محمود صالح بابل 2020،" الجدران العازلة بين الدول (دراسة حالة تركيا)" مقال، مجلة اتجاهات سياسية ،العدد الثاني عشر–المجلد الثالث، سبتمبر–أيلول2020 دورية علمية دولية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي.برلين–ألماني.21-35، ص:26

[3] – العاصي حسن، 2025 " الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر تركيا دروب الموت والابتزاز" https://www.researchgate.net/publication/394236617_alhjrt_ghyr_alshryt_aly_awrwba_br_trkya

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يمتد هذا النهر على مسافة تبلغ حوالي 200 كلم، ويُعرف بنهر الموت بسبب العدد الكبير من المهاجرين الذي فقدوا فيه حياتهم[1].

جدول رقم 2: نوع الحدود ونظرة المستجوب لها

المستجوب	نوع الحدود	نظرة المستجوب للحدود
1	أسلاك شائكة	أسلاك دائرية شائكة وحادة تتجاوز في علوها المترين
2	أسلاك شائكة	عبارة عن دوائر من الأسلاك الشائكة والحادة جدا يزيد علوها عن المترين والنصف، ومزودة بكاميرات
3	أسلاك شائكة	تجاوزنا الحدود باستعمال سلم يتكون من جزأين الجزء الذي نصعد منه طوله 5 أمتار أما الجزء الذي ننزل منه لا يتجاوز مترين، نقفز بعد تجاوز قمة السياج
4	أسلاك شائكة	لم أتمكن من تجاوز السياج بسبب العدد الكبير للمهاجرين ووصول حرس الحدود
5	أسلاك شائكة وخندق	نهر عميق، عبارة عن حدود، بالإضافة إلى أسلاك شائكة
6	أسلاك شائكة	سياج علوه 3 أمتار في أعلاه أسلاك شائكة مسننة ودائرية
7	أسلاك شائكة	هناك سياجان، تركي ويوناني تفصل بينهما مسافة نصف متر، والعلو تقريبا 3 أمتار.

المصدر: المقابلات الشفوية (نهاية فبراير وبداية مارس 2026) بتصرف

أوضح المستجوبون أن الحدود بين تركيا وبلغاريا عبارة عن سياجين منفصلين بمسافات مختلفة، بينما الحدود التركية اليونانية هي مزيج من السياج ونهر إيفروس، يبلغ طول هذا السياج حوالي ثلاثة أمتار توجد أسلاك شائكة أعلى قمته عبارة عن دوائر. ولتجاوز السياج يبدو من المنطقي قطع جزء منه يسمح بالمرور إلى الجانب الآخر، لكن المهربين لديهم أسباب تجعلهم يلجؤون في غالب الأحيان إلى السلالم (المستجوب رقم 3).

2: تتعدد محاولات تجاوز الحدود

إن وصول المهاجر إلى منطقة الحدود لا يعني النجاح في اجتيازها في أولى محاولة، كل رحلة قد تتعدد فيها المحاولات، وكل محاولة تختلف أسباب إخفاقها عن الأخرى. فيما يخص المهاجرين الذين أجرينا معهم المقابلات الشفوية، فعدد المحاولات متباين جدا (جدول 3).

[1] - https://www.youtube.com/watch?v=IkrwXLGgH0Y

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

جدول رقم 3: عدد رحلات المهاجر إلى تركيا وعدد المحاولات في كل رحلة

المستجوب	عدد الرحلات إلى تركيا	تاريخ الرحلة	عدد محاولات تجاوز الحدود	النتيجة النهائية
1	1	فبراير 2023	2	العودة إلى المغرب
2	1	فبراير 2023	عدة مرات	العودة إلى المغرب
	2	ماي 2023	4	الوصول إلى اسبانيا
3	1	16 غشت إلى 16 شتنبر 2023	1	الوصول إلى اسبانيا
4	1	2023	1	الوصول إلى اسبانيا
5	1	فبراير 2018	3	العودة إلى المغرب
6	1	16 غشت إلى 16 شتنبر 2023	1	الوصول إلى اسبانيا
7	1	2019	1	الوصول إلى بلجيكا

المصدر: المقابلات الشفوية (نهاية فبراير وبداية مارس 2026) بتصرف

من خلال الجدول 3 نلاحظ أن المهاجرين المستجوبين قاموا بعدة محاولات لعبور الحدود، منهم من تمكن من اجتيازها في المحاولة الأولى ومنهم من حاول عدة مرات وعاد إلى المغرب، لكنه لم يستسلم ونجح في اجتيازها بعد محاولات عدة في رحلة ثانية. من خلال المقابلات الشفوية تعددت الروايات حول طريقة الوصول إلى الحدود وطريقة الاقتراب منها، وأسباب عدم التمكن من تجاوزها، لذا سنحاول من خلال شهادات المستجوبين إبراز هذه الأسباب. لقد صرح المستجوب رقم 1 "في الرحلة الأولى حاولت عدة مرات، وفي واحدة منها عند وصولنا إلى الحدود وجدنا الحرس هناك وطاردونا، وفي الرحلة الثانية حاولت أربع مرات، كنا نعود بسبب تشديد المراقبة وفي المرة الأخيرة تمكنا من العبور"، ورغم تمكنه من العبور بمعية مهاجرين آخرين إلا أن شرطة بلغاريا ألقت عليهم القبض ورحلتهم إلى تركيا. أما المستجوب الثاني فقام برحلتين إلى تركيا الأولى في ماي والثانية في غشت من سنة 2023، وقد عبر عن المعاناة التي واجهها قائلا " في الرحلة الأولى حاولت عدة مرات وفي واحدة منها عند وصولنا إلى الحدود وجدنا الحرس هناك وطاردونا، هرب بنا الحراك في سيارة.... في محاولة أخرى تمكنا من تجاوز الحدود وقطعنا مسافة 4 أيام في بلغاريا مشيا على الأقدام، وألقت القبض علينا عصابة مكونة من عدة أشخاص مسلحين، أخذوا منا النقود والهواتف والأكل وتركونا... حاولنا البحث عن الشرطة لإرجاعنا، لكنهم سلمونا إلى حرس الحدود الذي أطلق علينا الكلاب، أنا تعرضت لعضة كلب عسكر بلغاريا. بعدها أرجعونا إلى تركيا وقبض علينا مرة أخرى حرس الحدود التركي، وهربنا أنا وشخص آخر وتهنا في الغابة لمدة يومين كاملين بدون أكل، كدنا نهلك لولا لطف الله لكنا فقدنا حياتنا. وفي الرحلة الثانية حاولت 4 مرات، كنا نعود بسبب تشديد المراقبة وفي المرة الأخيرة تمكنا من العبور". أما المستجوب رقم 7 الذي حاول عبور الحدود التركية اليونانية، قال "نجحت في المحاولة الأولى، لكنها كانت خطيرة للغاية، حيث سقطت عند العبور بين السياجين

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

التركي واليوناني، وصل فقط حرس الحدود التركي، بعد أن تخلى عني زملائي في المجموعة، وتعرضت لجروح خطيرة في رجلي، كان الألم شديدا جدا، تمكنت من الخروج بمساعدة حرس الحدود التركي لكني لحسن الحظ سقطت في جهة اليونان"، من خلال هذه الشهادات نستنتج أن أسباب تعدد المحاولات هو المراقبة الشديدة للحدود والدوريات التي يقوم بها الحرس، وكذلك التعرض للعنف من طرف العصابات.

1- الوصول إلى الحدود وتجاوزها

إن الوصول إلى الحدود ليس غاية في حد ذاته بل هو المرحلة الحاسمة في الرحلة كلها، بحيث إن تجاوزها والابتعاد عنها يمنح المهاجر الإحساس بالأمان أكثر، والخروج من منطقة المراقبة الشديدة. لذلك فكلما اقترب المهاجرون من الحدود التركية البلغارية أو التركية اليونانية ارتفع الإحساس بالخطر. لقد بينت المقابلات الشفوية مع المهاجرين المستجوبين أن منطقة الحدود حساسة جدا، يرتفع فيها مستوى الحذر واليقظة، فأي صوت أو حركة أو تواجد في غير محله قد يفشل العملية التي تم بناؤها من إسطنبول. والوصول إلى الحدود مكلف والرجوع دون تجاوزها مكلف أيضا، لذلك فالتوجه إلى الحدود هو جزء من مشروع الهجرة الذي لا يمكن أن يكون عشوائيا وفرديا، فهو يحتاج إلى تخطيط وتوجيه ومعرفة دقيقة بالمسارات والأوقات والأماكن التي يجب التواجد أو عدم التواجد فيها.

عبر ستة من أصل سبعة من المهاجرين غير النظاميين المغاربة المستجوبين على أن تحركاتهم نحو الحدود كانت بمساعدة مرشد أو "ريبيري"، باستثناء واحد، توجه إلى الحدود اليونانية بمعية آخر غير أنه تعرض لحوادث دفعت المجموعة التي كان فيها للتخلي عنه عالقا في بين السياجين. يقول المستجوب رقم 6 أن تحركهم نحو الحدود كان بمساعدة مهرب، مضيفا أنه "لا يمكننا تخطي خطوة واحدة نحو الحدود بدون مهرب فهو أعلم منا بالطريق "، في حين المستجوب رقم 7 قال " توجهنا إلى الحدود مع اليونان لوحدنا في القطار إلى أدرنة، وعند وصولنا وجدنا الشرطة في انتظارنا، كان على متنه ما يقارب من 400 مهاجر، تعرض بعضهم للضرب من طرف الشرطة. تم احتجازنا حوالي ساعة ونصف، وبعدها أطلقوا سراحي أنا وصديقي وعدنا إلى المدينة، حيث تمت مضايقتنا واستفزازنا من طرف شباب باستعمال دراجات نارية".

تبقى مرحلة تجاوز الحدود هي المرحلة الأصعب على الاطلاق في المشروع كله، تزداد فيها الأنانية والمصلحة الخاصة، والفردانية، وحب الذات، يصفها أحد المستجوبين بلحظة لا تعرف فيها الرحمة سبيلا إلى قلب أي مهاجر تجاه مهاجر آخر ولو كان قريبا له. فلحظة المرور إلى الجانب الآخر سريعة جدا، وهي لحظة الحقيقة، وكل تقدم أو تأخر بثانية يعني نجاح أو فشل الرحلة المكلفة ماديا، خاصة إذا ما كان عدد أفراد المجموعة كبيرا، فقد يحدث أن يصل حراس الحدود في أي لحظة، وقد يكون البعض قطع الحدود ونجحت رحلته، والبعض الآخر ما زال ينتظر دوره قرب السياج، فتتعرض رحلته للفشل الذي لا يتحمل فيه المهرب المسؤولية. عبر ستة مستجوبين أن عبور الحدود كان دائما بحضور المهرب أو معاونيه، لكن بعد المرور تبقى أمام المهاجرين تحديات من نوع آخر "فبعد عبور النهر، يمشي عادة هؤلاء الأشخاص لحوالي 25 يوما قبل وصولهم إلى سالونيك. لكن حتى بعد وصولهم إلى هذه المدينة التي تبعد عن الحدود أكثر من 300 كلم، لا يزال خطر الإعادة القسرية إلى تركيا قائما، بحسب المنظمات الحقوقية"[1]. فتجاوز الحدود التركية البلغارية أو التركية اليونانية لا يعني تجاوز كل العقبات، لكن حسب شهادات المستجوبين تبقى هذه الحدود هي العقبة الكبرى في المسار كله.

[1] – دانا البوز، 2021، "عنف وحدود محصنة بين اليونان وتركيا.. لا أحد يعلم حقيقة ما يجري في نهر إيفروس"، من قبل مهاجر نيوز في نشر بتاريخ: 2021/10/05، الاطلاع على المقال في 19 يونيو 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

4- بلد الوصول في مشروع هجرة المستجوبين

يبنى مشروع الهجرة لدى كل مهاجر عادة على التحديد المسبق لبلد الوصول أو الاستقبال سواء كانت الهجرة نظامية أو غير نظامية. بالنسبة للمهاجرين غير النظاميين المغاربة على طريق البلقان أبناء جهة الشرق يفضلون التوجه إلى اسبانيا (الجدول رقم 4).

جدول رقم 4: بلد الاستقبال في مشروع المهاجرين غير النظاميين المغاربة على طريق البلقان

المستجوب	بلد الاستقبال
1	فرنسا أو بلجيكا
2	إسبانيا، خاصة منطقة مورسيا لأن بها أقاربي
3	إسبانيا
4	إسبانيا
5	إسبانيا
6	إسبانيا
7	بلجيكا لأن عائلتي تعيش هناك

المصدر: المقابلات الشفوية (نهاية فبراير وبداية مارس 2026) بتصرف

من خلال الجدول نستنتج أن خمسة من أصل سبعة مستجوبين كانت وجهتهم الرئيسية منذ البداية دولة إسبانيا، ومنهم من حدد منطقة الاستقبال في إسبانيا، معللا ذلك بوجود أقارب، وتأتي كل من بلجيكا وفرنسا في المرتبة الثانية. ولابد من الإشارة هنا إلى أن المغرب من بين الدول التي ليس لها ارتباط هجروي ببلد معين، بل المهاجرين المغاربة المقيمين بالخارج يتوزعون على أكثر من 100 بلد في العالم، وهذا هو سبب وصف المهاجرين المغاربة ب (La diaspora marocaine) أي الشتات المغربي وهو مفهوم قريب جدا من وضعية المهاجرين المغاربة في العالم، وقد بينت الإحصاءات المغربية لسنة 2013 أن 85% من المهاجرين المغاربة يستقرون بأوروبا[1]، بحيث استقر سنة 2016، 32.24% في فرنسا و20.06% في إسبانيا و8.84% في بلجيكا[2].

وهناك بعض القواعد العامة التي تحكم مجال الهجرة التي يمكن أن تتغير حسب ظروف المهاجر، ويتعلق الأمر بتوجه مهاجري بلد ما للاستقرار ببلد استقبال محدد، وهذا ما يخلق نوعا من الارتباط الهجروي بين البلدين، ويطلق على هذه الظاهرة في الفرنسية ب (Le couple migratoire)، وهذا ما توصل إليه المستجوبون في حديثهم مع المهاجرين الذين صادفوهم أثناء الرحلة، فبالنسبة للأفغان والسوريين والعراقيين غالبا ما تكون وجهتهم ألمانيا وبريطانيا. أما التونسيين فتكون وجهتهم فرنسا، وقد طُرح

---

ttps://www.infomigrants.net/ar/post/35498/عنف-وحدود-محصنة-بين-اليونان-وتركيا-لا-احد-يعلم-حقيقة-ما-يجري-في-نهر-ايفروس

[1] -« 4,5 millions de Marocains résidant par le monde (M. Benkirane) », 08 mai 2013. https://www.ccme.org.ma/fr/medias-et-migration/30966.

[2] - Statistiques de la Direction des affaires consulaires et sociales publiées en 2012.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

سؤال على أحد المستجوبين حول سبب اختيارهم لإسبانيا كبلد هجرة رغم أنها من الدول الأوربية الضعيفة اقتصاديا. يتضح كذلك هذا الأمر من كون جنيف عاصمة سويسرا، هي النقطة التي تنقسم فيها المجموعات ويتفرق فيها المهاجرون، فمنهم من يتوجه غربا نحو أوربا الغربية ومنهم من يتجه جنوبا في اتجاه إيطاليا وإسبانيا. لكن الأعداد الحقيقية التي تصل إلى كل بلد تبقى غير معروفة رغم ما تقدمه بعض المنظمات والوكالات من إحصائيات، فمثلا "بين يناير ونوفمبر 2022، أبلغت وكالة فرونتكس عما يقارب من 130 ألف محاولة عبور حدود غير نظامية على الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي على جميع طرق غرب البلقان."[1]. وما يزيد الأمر تعقيدا هو أن هناك بعض دول غرب البلقان مثل صربيا لا تفرض تأشيرة على بعض الدول المصدرة للهجرة وهو ما دفع الاتحاد الأوربي إلى وضع حزمة شاملة بقيمة 201,7 مليون يورو في مجال الهجرة وإدارة الحدود لغرب البلقان سنة 2022[2].

خاتمة

وأخيرا يمكننا القول بأن بناء مشروع الهجرة على طريق البلقان بالنسبة للمهاجرين المغاربة غير النظاميين أمر في غاية التعقيد، يحتاج إلى الحزم والحسم في اتخاذ قرار الهجرة، ومواجهة عدد من التحديات وترتيب الأولويات، خاصة وأن هذا القرار يؤثر سلبا أو إيجابا على محيط المهاجر. فالوصول إلى مدينة إسطنبول ليس اختيارا خاصا يتخذه المهاجر بمفرده، بل مسار الهجرة عبر البلقان يحتم عليه ذلك، على اعتبار أنها مدينة كبيرة تتوفر فيها معطيات ومعلومات حول الحدود وطريقة تجاوزها، مع إمكانية الحصول على سكن للإقامة قبل الوصول إلى الحدود. لكن الوصول إلى الحدود يعتبر تحد آخر على المهاجر تجاوزه بحيطة وحذر لكثرة واختلاف طرق النصب والاحتيال.

إن الوصول إلى الحدود يفرض على المهاجر الانضباط وتتبع تعليمات المرشد، فبدونه لا يمكن النجاح في تجاوزها أو حتى الاقتراب منها. لذلك قد تتعدد المحاولات في الرحلة الواحدة، ونسب الفشل والنجاح متكافئة، غير أن الفشل لا يعني نهاية المشروع واجتياز الحدود لا يعني تجاوز كل الأخطار.

---

[1]- خطة عمل الاتحاد الأوروبي بشأن غرب البلقان، ص:1، (الاطلاع يوم 15 مارس 2026)
https://home-affairs.ec.europa.eu/document/download/e63e3b92-4f0c-4d95-a7f9-b0aff2dd0efc_en?filename=Western%20Balkans_en.pdf

[2] - دانا البوز،2022، " الهجرة عبر البلقان.. خطة عمل أوروبية تسعى لتعزيز الرقابة ومحاربة المهربين"، مقال، نشر مهاجر نيوز، بتاريخ 06/12/2022، (الاطلاع يوم 15 مارس 2026 على الساعة 12 و48 دقيقة)

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

- العاصي حسن، 2025 " الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر تركيا دروب الموت والابتزاز" https://www.researchgate.net/publication/394236617_alhjrt_ghyr_alshryt_aly_awrwba_br_trkya
- بنعائشة بنيونس (2020) "بناء الأسوار وتسييج الحدود الدولية مقاربة أمنية جديد لمكافحة الهجرة الدولية"، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات، https://nama-center.com/Articles/Details/41163.
- خطة عمل الاتحاد الأوروبي بشأن غرب البلقان، ص:1، (الاطلاع يوم 15 مارس 2026)
- https://home-affairs.ec.europa.eu/document/download/e63e3b92-4f0c-4d95-a7f9-b0aff2dd0efc_en?filename=Western%20Balkans_en.pdf
- دلشاد محمود صالح بابل 2020،" الجدران العازلة بين الدول (دراسة حالة تركيا)" مقال، مجلة اتجاهات سياسية، العدد الثاني عشر
- المجلد الثالث، سبتمبر-أيلول2020 دورية علمية دولية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي. برلين- ألماني.21-35.
- دانا البوز، 2021، "عنف وحدود محصنة بين اليونان وتركيا.. لا أحد يعلم حقيقة ما يجري في نهر إيفروس"، مقال نشر مهاجر نيوز، بتاريخ: ttps://www.infomigrants.net/ar/post/35498.2021/10/05 /
- دانا البوز،2022، " الهجرة عبر البلقان.. خطة عمل أوروبية تسعى لتعزيز الرقابة ومحاربة المهربين"، مقال، نشر مهاجر نيوز، بتاريخ 06/12/2022،
- Gérard-François Dumont, 3 décembre 2020 « La Turquie d'Erdogan et la géopolitique des migrations », article sur https://www.telos-eu.com/fr/politique-francaise-et-internationale/la-turquie-derdogan-et-la-geopolitique-des-migrati.html
- Statistiques de la Direction des affaires consulaires et sociales publiées en 2012.
- « 4,5 millions de Marocains résidant par le monde (M. Benkirane) », 08 mai 2013. https://www.ccme.org.ma/fr/medias-et-migration/30966.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/